مركز القطان للبحث والتطوير التربوي

العدد السادس - كانون أول 2002

نشرة دورية تصدر أربع مرات سنوياً عن
مركز القطان للبحث والتطوير التربوي
رام الله - فلسطين


الافتتاحية

# عقاب على الملأ!

إذا ما كان «النصح» كما يقول الإمام علي بن أبي طالب: «النصح بين الملأ تقريع»، فكيف يكون «العقاب» على الملأ؟!

روى أحد الزملاء لنا حادثة، تتلخص في أن ابن صديق له عاد ابنه إلى البيت، مصابا بحجر في رأسه، كان قد ألقاه عليه أحد زملائه في المدرسة التي يتعلم فيها. في صباح اليوم التالي ذهب الأب إلى المدرسة مستفسرا عما حدث، فما كان من المدير إلا أن استدعى الطفل الذي ألقى الحجر، وقام بضربه بالعصا عقابا له على فعلته، أمام جميع طلاب المدرسة.

استدعت هذه الحادثة حادثة أخرى أعرفها، كانت قد حدثت في العام الماضي في مدرسة أخرى؛ حيث وقع فجأة حجر على رأس طفل في ساحة المدرسة، نتيجة لتراشق بالحجارة بين مجموعتين من الطلاب كانوا يلعبون، وكان حظ هذا الطفل أن تلقى حجرا.

ذهب الأب إلى المدرسة كي يخبر الإدارة فيها بما جرى. اهتمت المسؤولة بذلك، وعندما راجع الأب فيما بعد، علم أن الطلاب الذين تراشقوا بالحجارة، قد تم الحديث معهم بخصوص هذا الأمر، وخصصت المشرفة الاجتماعية وقتا لهذا أيضا.

ما الذي يمكن رؤيته في هاتين الحكايتين؟ ببساطة متناهية، ودون عناء كبير فإننا سنلحظ ما يلي:

أولا: أن الأطفال قد يعتدون على بعضهم بعضا بصورة عنيفة، سواء أكان ذلك بقصد أم دون قصد.

ثانيا: أن إلقاء الحجارة هو جزء من «اللعب» الذي يمارسه الأطفال في ساحة المدرسة.

## في هذا العدد


- انتفاضة ثقافية عربية كأساس لنهضة عربية حقيقية
- تعليم التفكير
- الذكاء المتعدد في الرياضيات
- تقييم الرياضيات داخل غرفة الصف
- التعليم حتى التمكين في الرياضيات (المفهوم القديم/ الحديث )
- التقويم الأصيل وتعليم التفكير في العلوم
- تعليم العلوم عن طريق إجراء أنشطة متنوعة باستخدام مواد من البيئة
- التفكير الناقد في العلوم
- الذاكرة ومفهوم النشاط
- نظرة تأمل تربوية
- عيسى... أمل يشرق
- استراتيجيات عامة لإدارة الصف وحفظ النظام
- كيف نخفف من قلق الامتحان؟
- الدراما والقصة
- تشجيع القراءة واستخدام المكتبة في مدرستك



هيئة التحرير:

المحرر المسؤول: د. فؤاد المغربي (مدير المركز)

مدير التحرير: وسيم الكردي (المنسق)

ليانا جابر — موسى الخالدي — أنس العيلة
مها قرعان — نادر وهبة — محمد أبو ملوح
دعاء جبر — رائد شماسنة

ثالثا: لقد كنا أمام طريقتين للتعامل مع المشكلة، في الأولى تلقى الطفل عقوبتين مباشرتين،الضرب، والضرب أمام التلاميذ. أما في الحالة الثانية فقد أستخدم أسلوب آخر، وهو الحديث مع الطلاب ومحاولة معالجة الأمر عبر التفكير فيه. قد يكون الكلام حول ما جرى؛ بداية ملائمة من المفترض أن تتبعها خطوات أخرى، وإجراءات على مستويات متنوعة، أما إذا ما اقتصر الحديث على كيل النصائح والإرشادات، فإن المقدمة التي قد تبدو إيجابية لن تعود كذلك.

رابعا: إذا كانت الحادثة قد جرت في إطار مؤسسة مدرسية تهدف إلى التربية والتعليم، فإن هذا يفترض نظريا، على الأقل، بأن الإدارتين تنظران إلى المعالجة على أنها جزء من هذه التربية وهذا التعليم، وبأن أثرها سيمتد ليؤثر على الطالب المعاقب والطلاب المتفرجين، وسيُحدِث تغييرا في هاتين العمليتين.

ليس هناك ما يؤكد أن أيا من الأسلوبين قد كان ناجحا، خاصة أن «النجاح» هنا يحتمل الكثير من النقاش؛ فهل النجاح في منع التلاميذ من اللعب بالحجارة يساوي الفشل الذي قد يكون قد انخلق في نفسية الطلاب، وآثار الرسائل المضمرة في فعل العقاب نفسه، وفي تجليه على صورة مشهد للفرجة. غير انه من المؤكد أن الأسلوب الأول قد ترك أذى ما في نفوس الموجودين، ليس للطالب المعاقب أو أب الطالب المصاب فقط، بل للمدير والمعلمين والطلاب، الذين شاهدوا العقاب أيضا، سواء أكانوا راضين عنه ومقتنعين به أم لم يكونوا!.

ولكن أين نجد هذين الأسلوبين في السياق الثقافي الاجتماعي؟ إننا لا نضيف جديدا إذا ما قلنا بأن العقاب بشقيه الجسدي واللفظي، هو جزء من النتاج الثقافي الاجتماعي، ومعالجته تحتاج إلى تغيرات اجتماعية هائلة في البناء القيمي الاجتماعي، في صلاته بعلاقات القوة في المجتمع، ولأن موضوع هذه الافتتاحية لا يهدف إلى مناقشة موضوعة العقاب الجسدي من حيث هو وسيلة تربية أم لا (فهو بالتأكيد على الأقل من وجهة نظري غير نافع أبدا، بل وضار ويترك آثارا جسدية ونفسية هائلة). فإنني أميل هنا إلى إثارة فكرة هي جزء من هذه المسألة المتمثلة بثقافة العقاب بأسلوب الفرجة. ففي ثقافة من هذا النوع، ما الذي يتم عرضه؟ وما الذي يتم حجبه؟ إن ما يحضر في المشهد يتمثل في الوصف التالي: في مكان مشرف يتيح لجميع الموجودين أن يشاهدوا العرض، وأن يتفرجوا على وقائعه؛ يقف المدير بوضعيته الجدية حاملا عصاه، قريبا منه يقف الطالب، في المقابل يقف جميع الطلاب صامتين تماما وكذلك المعلمين، بعبارات قليلة يبرر المدير للمتفرجين ضرورة المشهد من حيث هو عقاب لطالب قد قام بفعل خاطئ، وهو يستحق بسببه الضرب. إن مشهد الضرب الذي يتم على الملأ (طبعا لا نقترح هنا أبدا أن يتم الضرب من وراء حجاب) هو مشهد يُرى له أن يبث رسائل كثيرة وفي اتجاهات متعددة. فما الرسائل الذي يبثها؟ أما الذي يتم حجبه فيمكن وصفه كما يلي: الطالب المخطىء صامت لا يقول شيئا سوى انتظار القضاء الذي لا بد له إلا أن يستسلم له، هنا يتم حجب الغاية الحقيقية من وراء المشهد، في الحقيقة، فإن هذا المشهد لا يحمل رسالة رئيسية للمعاقب، ربما قد يحمل رسالة فرعية له، وإذا ما مثلت رسالة رئيسية للمضروب، فإنها في المشهد تتوارى لمصلحة رسالة أبلغ واكثر وضوحا ومباشرة، وهي الرسالة الموجهة للمتفرجين، إن خطاب المدير هنا (خطابه القولي وخطابه السلوكي) يريد أن يثبت سلطته التي يخشى من تهديدها، إن مناسبة من هذا النوع يستطيع أن يؤكد سلطته فيها، وأن يذكر المتفرجين بها مرة أخرى.

إن المسألة مرتبطة برمتها بالسلطة، في المثال الأول، يرى المدير نفسه كسلطة تمتلك أدواتها في السيطرة على المؤسسة سيطرة تامة، فالضرب يستهدف ردع من يقع عليه العقاب، وتنفيذه على الملأ يستهدف ردع المتفرجين، إلا أن المشهد هنا يريد توزيع الرسائل على الجميع. الفرجة هنا هي جزء من توطيد السلطة، كالإعدام في الساحات العامة مثلا، أو سحل الخصوم في الشوارع، أو عقوبة يتلقاها السجين أمام زملائه ليؤكد آمر السجن بها سلطته. وبالمناسبة فقد بث التلفزيون تقريرا حول كيفية إدارة إحدى القبائل للمناطق التي تسيطر عليها، ومما جاء في البرنامج صورة لعقاب سارق؛ في ساحة عامة مزدحمة بالمتفرجين؛ مُرغ وجه السارق في التراب، وحُمل بالمقلوب على ظهر حمار، وسير به في أرجاء القرية. المتفرجون هناك ظاهريا يأتون طوعا إلى الساحة العامة، ولكن في الحقيقة، أن سطوة الثقافة العامة المكرسة هي التي تأتي بهم، في حالة المدرسة، فإن المعلمين والطلاب يتم اقتحام مكانهم، ويفرض عليهم مشاهدة العقاب، ويبدو وكأن ذلك يحدث في مكان طبيعي وفي إطار حضور طبيعي، لكن الواقع يقول بأن لا أحدا من الموجودين كمتفرجين يرغب حقيقة في رؤية هذا المشهد، والمؤكد أن الوحيد الذي يريد ذلك هو الذي يدير المشهد على منصة العقاب، تحت ذريعة الوعظ أو الردع أو النصيحة، مجسدا ذلك في مثال عملي يراه المتفرج فيرعوي.

علينا أن ننظر إلى مشهد العقاب على الملأ، كفعل مبني بصورة رمزية، فهو يتضمن رسائل فعلية، يعمل «المتفرجون» على فك «شيفراتها»، المدير يرمّز بإشارات الجسد عبر الفعل، والمتفرجون يفكون هذه الرموز شعوريا وعقليا، وبالتالي فهم يتلقون رسائل ظاهرة وأخرى مضمرة. وكما يرى «فوكو» فإن الترميز يمكن استعماله كأداة لتوحيد الناس وللهيمنة أيضا. وإذا ما كان العقاب على الملأ هو الظاهرة الأكثر حضورا عبر تاريخ البشرية كوسيلة من وسائل العقاب الاجتماعي، فإن هذا العقاب بات يتخذ أشكالا جديدة في سياق تحقيق الانضباط الاجتماعي، عبر وسائل أقل مشهدية أو محجوبة. لكننا إلى الآن ومع بداية قرن جديد، ما زلنا نرى في «المشهدية» وسيلة مؤثرة في بث الرسائل عبر عقاب الجسد كمستهدف أساسي للإخضاع المعرفي والفيزيائي أيضا. إن هذا الإخضاع عبر العقاب، بشكليه المشهدي والمحجوب، كفعل مهين وتقييدي، يتحقق عبر علاقات القوة في البنية الاجتماعية. إن علاقات القوة ليست ملكية ثابتة، بل هي مرهونة بتغير علاقات القوة، وبهذا المعنى فإنها متحركة، غير ثابتة، تتغير دائما عبر الصراع والمقاومة في حالة من استمرار التوتر وعدم الاستقرار. لعل هذا ينقلنا إلى تلك العلاقة المتداخلة ما بين المعرفة والقوة، من حيث انهما ليستا نقيضتين بل إن إحداهما تتضمن الأخرى.

وسيم الكردي